تطبيق منهج علم اللغة النصي في دراسة القرآن الكريم (سورة البقرة أنموذجا)

أ. د . محمد كاظم البكّاء
جامعة الكوفة – كلية الفقه

المقدّمـــة

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمد وعلى آل محمد وعلى أصحابه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين ، وبعد

فإنّ ثمة جهودا تبذل في تأسيس فرع في الدراسات اللغوية منذ الخمسينيات يعرف بـ (علم اللغة النصّي) ، وهو دراسة الكلام منثوره ومنظومه على هيئة نصوص ، يبحث فيه عن عناصر تماسكها ، كما يبحث عن علاقة هذه النصوص البينية ،وقد رأيت أن أفيد منه في دراسة القرآن الكريم .

والذي يدعونا إلى تطبيق منهج علم اللغة النصي في دراسة القرآن الكريم هوأنّ ثمة مشكلة حقيقية تحول دون فهم القرآن الكريم وتدبّر معانيه ، تلك هي طريقتنا في قراءته ودراسته ، فمازال معظم الناس يقرأون منه اللفظ أو اللفظين أو العبارة غير منتبهين إلى كونه في جمل مفيدة تتضمنها نصوص متكاملة ، فيجزّئ الآية أو الجملة ولا يكملها ، خذ مثلا سورة الطارق : " وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كلّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * ... فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ . " ، و النصّ الثاني هو : "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ... " ، فهما نصّان اثنان ، كلّ نصّ يبدأ بالقسم ، ولكلّ نصّ جوابه وما يتعلق به ، وقد كان النصّ الثاني تصديقا للنصّ الأوّل ، إذ تناول النصّ الأوّل التأكيد على رقابة الله تعالى لكلّ نفس " إِنْ كلّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ "، فكان الثاني تصديقا وتحقيقا للكلّام الأوّل في كون القرآن أو ذلك القسم حقّا قاطعا " إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ". ومن المعلوم أنّ الجملة الأولى هي " وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كلّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ" ، وفيها جملة اعتراضية تلفت النظر إلى عظمة النجم الثاقب الذي أقسم به الله تعالى . وهكذا يجري القرآن الكريم في جميع سوره وآياته، ولكن الذي يؤسف عليه أنّ معظم الناس يهذّون القرآن الكريم هذّا يسرعون في قراءته ولا يتدبرون نصوصه ولا جمله ،أو لا يقفون على رؤوس الآيات منه ؛ فهم يقرأون هذه الجملة من سـورة الطارق مجزأة في ألفاظ متناثرة : (وَالسَّمَاءِ) ثم (وَالطَّارِقِ) ، ثم (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ) ، و(النَّجْمُ الثَّاقِبُ) ، ويطول الوقف ، ثم يقولون : (إِنْ كلّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) على وجه لا تدرك معه المعنى العظيم الذي تضمنته هذه الجملة ، وهي جملة قسم متكاملة .

والذي يدعونا إلى تطبيق منهج علم اللغة النصي أيضا هو أنّ ترتيب سور القرآن الكريم بآياته يثير تساؤلا كبيرا إذا ما علمنا اختلاف أسباب نزول الآيـات ، وربما نزل منه اللفظ أو اللفظان (*)، وقد تفاوت وقوعها في جبل أو سهل في مكة أو المدينة على امتداد ثلاثة وعشرين عاما ، وإذا القرآن في مصحف يضمّ سوره وآياته على وجه أعجز الخلق عن الإتيان بمثله في لغته وبيانه ووظيفته الإبلاغية ، فليس من الممكن أن تجمع في نظم واحد جملا وعبارات مستقلة برأسها مختلفة في زمن تدوينها ووقائعها ، متعددة في أسباب نزولها الكثيرة على وفق حاجات المجتمع الإسلامي في معرفة الأحكام ومتطلبات الحياة العامة . وما زال خطابه الإبلاغي البلاغي مستوفيا الإجابة على جميع حاجات الإنسان بتفاصيلها المتعددة . وهذا التصور لترتيب المكوّن القرآني يستند إلى الاعتقاد بترتيب سوره وآياته ترتيبا توقيفيا من الله تعالى .

وقد كشف هذا البحث عن أنّ الترتيب التوقيفي الذي يجمع الآيات وإن اختلفت أسباب نزولها وتفاوتت أزمنتها ووقائعها يفاجئ المتلقي في ظاهرة قرآنية مهمة ، وهي أنّ الآيات تأتلف في نصوص متكاملة ، والنص منها ذو موضوع معيّن ويأتلف بالطريقة نفسها مع نص آخر في الموضوع نفسه ، أو مما يقع في دائرته . فإذا تدبرت أصغر نص في القرآن الكريم ، وهو الذي تضمنته سورة الكوثر ، فإنّك لا ترى في معناه أيّ تفاوت ، فقد خاطب الله تعالى الرسول الأعظم بمنحه الخير الكثير ، أو هو نهر في الجنّة ؛ لئلا يبالي بما يقوله السفهاء الجهلاء له من أقاويل شتى ؛ ومنها نعتهم إياه بالأبتر المنقطع من كلّ خير ، وخاطبه بالصلاة لربّه وحده ، ونحر الإبل لوجهه تعالى الذي أفاض عليه ما أفاض من الخير والبركة . ونص السورة في آيات ثلاث ، ولكنّها اختلفت في أسباب نزولها ، وتفاوتت في أزمنة وقوعها ، فالآية الثانية منها ، وهي قوله تعالى :" فَصَلِّ لِرَبِّـكَ وَانْحَرْ" نزلت يوم الحديبية ، إذ أتى الرسول العظيم جبريل قائلا : انحر ، واركع ، فقام فخطب خطبة الفطر والنحر ، ثم صلى ركعتين . أما الآية الثالثة ، وهي قوله تعالى :" إنَّ شانِئَكَ هو الأبْتَرْ" فقد نزلت في عهد متقدم من الرسالة يوم أوحي إلى النبي العظيم ، فقالت قريش: بتر محمد منّا ، فلا ينال خيرنا ، وفي رواية أخرى أنّ هذه الآية قد نزلت حين مات ولده القاسم ، فأسباب نزولها على أي حال مختلفة عن أسباب نزول الآيتين السابقتين (تفسير الجلالين 542- 544)، ولكنّها جميعا تناسقت في نظم متآلف ونص متكامل . ومن لطائف هذا النص أيضا مما يثير العجب أن يتكامل نظمه ودلالته مع بنائه الصوتي ، فهو يتآلف مع دائرة الإيقاع الموسيقي للبحر المتدارك الذي وزنه (فَعْلُنْ ...) : (إنّنَا .....) ، و تتوحد فيه رؤوس الآي في سجع رائع بقافية رائية الروي الساكن الذي تحرّك ما قبله ، مع مزية المبالغة في المعنى وحسن المقابلة ، فالكوثر من صيغ المبالغة

(*) انظر : قوله تعالى :" مِنْ الْفَجْرِ " البقرة 187 .
نزل قوله تعالى : " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ " فكان رجال إذا إرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه خيطـا أبيض وخيطا أســود ، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبيّن رؤيتهما ، فأنزل الله تعالى بعد " مِنْ الْفَجْرِ " فعلموا أنّه إنما يعني الليل والنهار (كتاب النقول في أسباب النزول - تفسير الجلالين 67).

بالكثرة ، ويقابله على وجه التضاد : الأبتر ، وهوغاية ما ينقطع به الإنسان عن كلّ خير، فجمع هذا النص الذي تآلف من آيات نزلت في وقائع مختلفة روعة التلاوة وحسن الإفادة .تلك حقيقة تعبر عن وجه آخر من وجوه إعجاز القرآن العظيم المتكاثرة ، وهي ترتيب سوره وآياته في نصوص متكاملة متآلفة ، فليس من الميسور أنّك تتصور جمع هذه الآيات في نص وص متتابعة ، وخطاب إبلاغي متكامل بالرغم من تفاوت أسباب النزول ، وتفاوت الأزمنة والظروف .

وهكذا يؤدي هذا البحث إلى الكشف عن حقيقة مهمة ،وهي ضرورة قراءة القرآن الكريم في هيئة نصوص متكاملة تتضمن جملا مفيدة متآلفة على خلاف ما يقع من قراءة تجزيئية للآيات على ما ذكرنا في قراءة سورة الطارق مثلا . ولنجرّب كيف يقرأ الناس سورة الفاتحة ، وقد يطلب منهم تحديد الجملة الأولى من هذه السورة بعد البسملة ، فيقول معظمهم : (الْحَمْدُ لِلَّهِ) ويقطعون عنه الصـــفات : (رَبِّ الْعَالَمين)،و (الرَّحْمَنِ) و (الرَّحِيمِ) ، و (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ، وهي أربع نعوت متتابعة تتكامل في جملة واحدة ، ولا يصح الوقوف عند إحدا ها إلا إذا قصد مراعاة رؤوس الآي . فذلك خطأ غفل الناس عنه في قراءة القرآن الكريم . إنّ المشكلة في قراءة القرآن الكريم هي لدى الفريق الثالث من القرّاء ، أولئك الذين لا يقفون على رؤوس الآي ، وهي سنّة متبعة في قراءة القرآن الكريم ، فهم لا يحسنون معرفة مواضعها ، وأولئك الذين لا يستكملون قراءة الجمل المفيدة ، ولا يحسنون تدبّر النصوص وتحديدها .

ويترتب على قراءة القرآن الكريم في هيئة نصوص ألا نبقى في دائرة الدراسات القرآنية التي تتناول القرآن تناولا تجزيئيا بالبحث عن خصائصه اللغوية أو سماته البيانية التي ترد في هذه الآية أو تلك ، أو إعراب ألفاظه لفظا لفظا ، على أنّ ذلك مفيد قطعا ، ولكنّه يفوّت علينا الوظيفة الإبلاغية التي تهدف إليها النصوص القرآنية المختلفة ، فلا شكّ أنّ الغاية المقصودة من نزول القرآن الكريم أوّلا وبالذات هي بيان مبادئ الإيمان وأحكام الإسلام ، ووظيفة الإبلاغ لا تتحقّق إلا بالكلام على سوره ونصوصه ، وذلك هو الذي دعانا إلى متابعة سوره وتصنيف نصوصه تصنيفا منهجيا لإيضاح مقاصدها الإبلاغية .

إنّ هذا الاتجاه في التفسير باعتماد وصف النص وتحليله للكشف عن عناصر تماسكه ونظمه قد اتخذه من قبل عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم التي تحدّث عنها في مصنفه (دلائل الإعجاز) ، وهو وإن لم يصرّح بكلمة (النص) استخدم نصوصا متكاملة في شرح نظريته ، قال عبـــد القاهر الجرجاني في (دلائل الإعجاز 94) : " وهل تشك إذ فكّرت في قوله تعالى : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (هود: 44) فتجلى لك منها الإعجاز . . . لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض . . . وأنّ الفضل تناتج ما بينها ، وحصل من مجموعها " ، وقال محمد عبد العظيم الزرقاني (مناهل العرفان في علوم القرآن 340/ 341) : " وبيان ذلك أنّ القرآن لم ينزل جملة واحدة ، وإنّما نزل مفرقا منجما على أكثر من عشرين عاما على حسب الوقائع والدواعي المتعددة .... وإذا القرآن كلّه بعد ذلك

يكمل ويتم ، وينتظم ويتآخى ويأتلف وينسجم ، ولا يؤاخذ عليه شيء من التخاذل والتفاوت ، بل كان من ضروب إعجازه ما فيه من انسجام ووحدة وترابط ، حتى إنّ الناظر فيه دون أن يعلم بتنجيم نزوله ، لا يخطر على باله أنّه نزل منجما " ، فنحن أمام نوع من الإعجاز يقع في تصنيفه تصنيفا منهجيا في نصوص متكاملة على وفق منهج منطقي سليم .

إنّ كيفيـــة ترتيب القرآن الكريم وتآلف نصوصــه وتكاملها تتطلب أن نعيد النظر في قراءتنا لسوره وآياته،وذلك لا يتم إلا بإشاعة ثقافة النص القرآني بتدبر نصوصه والبحث عن العلاقات بينها وقد اتخذت سورة البقرة أنموذجا لتبيان النصوص التي وردت في موضوع **(العقيدة والإيمان)** ، ثم **(الأحكام والعبادات)** ، تابعت فيها الآيات آيـة آيــة فإذا هي - سبحان الله - في خمسة أبواب ذات نصوص متكاملة في تسلسل منطقي سليـم ، وكأنّها وضعت وضعا واحدا . ذلك ما اجتهدنا في تحديده وتصنيفه ، " **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** " . وقد مهدت للبحث بمدخل في تحديد النص وبنيتــه ودلالته سائلين الله تعالى أن يوفقنا لما فيه خدمة لغة القرآن الكريم .

تحديد النص

من المناسب أن نستعين بقواعد اللغة لتحديد النص ، فالجملة في الاصطلاح النحوي " كلامنا لفظٌ مفيدٌ كـ (استقم) " ، أي : الكلام الذي يحسن السكوت عليه ، ويفيد فائدة تامة ، مثل جملة : استقم ،ويرى بعض المحدثين أنّ الجملة فكرة لها صورة لفظية ، فقولك : العلم نور ، جملة مفيدة ، فالجملة هي فكرة لها موضوع ، فإذا ما اجتمعت الأفكار في نظم يضمّها وموضوع يعبّر عنها فذلك هـو(النص) ، قالوا : " نصّ على الشيء نصّاً : عيّنه وحدّده "، فـ (النص) هو مجموعة الأفكار التي تعبّر عنها الجمل في موضوع معين على نحو حسن من التنسيق والتأليف ، وقد أوضحت تعليقات عبد القاهر الجرجاني على بعض الآيات هذا المعنى نفسه ، فهو يقول (الإعجاز 94) : " وهل تشك إذ فكّرت في قوله تعالى : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (هود: 44) فتجلى لك منها الإعجاز . . . لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض . . . وأنّ الفضل تناتج ما بينها ، وحصل من مجموعها " ، وقد اهتدى علماء اللغة في الخمسينيات إلى علم اللغة النصّي ،والذي عليه البحث أنّ أوّل من نبّه على ذلك زيلنج هاريس في (تحليل الخطاب) عام 1952 الذي عني بالعناصر اللغوية في النصّ ، وهذا العلم ينطلق من كون العلاقة تكاملية بين الجملة والنص " حيث ينظر إلى دراسات علم اللغة الجملي على أنّها تمهيد ضروري لأبحاث علم اللغة النصي من جهة ، لكنّها من جهة أخرى يمكن أن تتجاوز علم اللغة النصي الأكثر شمولا " (المدخل إلى علم اللغة النصي ، فولفجانج ، 8) ، ومازالت البحوث مستمرة في الدراسات النصّية والبحث في عناصر التماسك النصّي ، وقد أجاد الدكتور صبحي

إبراهيم الفقي في مؤلفه (علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق) عام 2000 في التحليل النصّي للسور المكيّة تحليلا لغويا بما يقع في دائرة اهتمامنا في ضرورة إعادة النظر في قراءة القرآن الكريم في هيئة جمل متآلفة ونصوص .

وفي ضوء تحديد النص وتطبيقاته ، وقراءة نماذج النصوص في دراسات علم اللغة النصي يتضح أنّ النص من حيث البنية يتضمن : العلاقات في بناء الجملة و روابط نظم النصّ . وأنّ النصّ من حيث الدلالة يتضمن : الأفكار التي تعبّر عنها جمل النص والمعنى العام الذي يتضمنه موضوع النص .

وسنعالج النص من حيث بنيته ، ودلالته.

المبحث الأوّل
النص من حيث البنية

النص مجموعة من الجمل يضمها نظم ، وهو ذو موضوع معيّن ، والنص بجمله من حيث البنية تحكم صياغته وجوه من التعليق والروابط ، ويرقى الاهتمام ببحث الروابط ووجوه التعلق إلى زمن أرسطو الذي جعل القسم الثالث من كتابه الخطابة في مباحث الروابط وأدوات الوصل وغيرها (الخطابة ، أرسطو ، 185) ، وعالج المتكلمون وأئمة البيان موضوع التعلق والربط وهم يبحثون في وجوه النظم والتأليف والإعجاز في القرآن الكريم ، قال أبو سليمان الخطابي (-388 هـ) (بيان إعجاز القرآن ، 27) : " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم " ، فإذا ما بلغنا عبد القاهر الجرجاني وجدناه يقيم نظريته في النظم على العلاقات والروابط فيما بين الكلم فهو يرى (دلائل الإعجاز ، 51) :" أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك " . ولو تدبرنا وجوه التعلق والروابط في الكلام لوجدناها تتضمن وجوه التعلق فيما بين الكلم في الجملة ، وروابط نظم النص عامة ، و تكون هذه العلاقات والروابط لفظية ، مثل الضمائر ، وأدوات العطف ، وأسماء الإشارة ، وغيرها ، و قد تكون معنوية عبّر عنها الجرجاني بالمعاني النحوية (دلائل الإعجاز ، 15): " فهذه الطرق والوجوه في تعلق الكلام بعضها ببعض ، وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه " ، وقد تكون العلاقات ذات أغراض فنية تتعدد وجوهها على وفق المقاصد :

أوّلا – روابط لفظيـــة
ثانيا – علاقات معنوية
ثالثا – الأساليب الفنيـــة

أوّلا – روابط لفظية :

تحكم النص بجمله روابط لفظية من أدوات وحروف وألفاظ تناولتها الدراسات اللغوية ، وقد يوظف لفظ من ألفاظ الجملة أو النص للربط والتماسك ، وقد يراعى لذلك النسق اللفظي الذي يعبّر عنه بالمطابقة وسنتناول ذلك بالتفصيل :

* الأدوات والحروف والألفاظ :

الأدوات والحروف :

وهي أسماء وحروف ذوات معان ، فمنها ما يدخل على الجملة أو عدة جمل فيربط بين طرفي الجملة أو بين الجمل ، ومنها ما يدخل على المفرد ، فيربطه بعنصر آخر من عناصر الجملة (الخلاصة النحوية ، الدكتور تمام حسان ، 70)، من ذلك النواسخ ، مثل قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ" (البقرة:6) ، وقوله تعالى " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " (البقرة: 97) ، وكذلك أدوات الشرط التي تحكم علاقة التعليق بين جملة الشرط وجوابه ،مثل قوله تعالى : " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " (البقرة: 31) ، وأدوات القسم التي تحكم علاقة جواب القسم بالمحلوف به ، مثل قوله تعالى : " وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (الضحى:1-3) ، وحروف الجواب التي تحكم علاقة الجواب بالسؤال ، مثل قوله تعالى : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي " (البقرة: من الآية260) .

ومن الحروف التي تحكم بين ما قبلها وما بعدها حروف العطف ، مثل قوله تعالى :" إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (البقرة: 173) ، والإضراب مثل قوله تعالى : " وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ " (البقرة:154) ، وحروف الجرّ بما لها من معان حقيقية ومجازية ، فهي كما سمّاها سيبويه حروف الإضافة ؛ لأنّها تضيف المجرور إلى غيره ، مثل قوله تعالى :" الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (الفاتحة:2) ، فقد أضافت الحمد لله تعالى .

الضمائر:

تتضح قيمة الضمير في مجال الربط في كونه كناية عن الاسم المظهر ، فاعتمد في الإحالة وبيان العائدية والربط بين عناصر الجملة ، مثل قوله تعالى : " وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ " (البقرة: 4) ، فقد ربط الضمير (هم) هذه الجملة بالنص السابق الذي تكلم على المؤمنين المتقين : " ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ " (البقرة:2) ، ومنه قوله تعالى : " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً : (الأحزاب: 35) ، فقد تماسك النص بإسناد الخبر : (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) إلى المبتدأ (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ)

والرابط هو الضمير (هم) في قوله (لهم)، ولولا هذا الرباط الناظم لما كان لديك نظم قائم .

أسماء الإشارة :

يعتمد اسم الإشارة في ربط المشار إليه بعنصر آخر من عناصر الجملة ، أو الجمل السابقة في النص نفسه ، مثل قوله تعالى : " الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" (البقرة:27)

الأسماء الموصولة :

تعتمد الأسماء الموصولة بمدخولها صلة ورابطا بين ما تدلّ عليه وعنصر آخر من عناصر الجملة ، مثل قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً " (الكهف: 30) أي : عملهم . (انظر : الدكتور تمام حسان ، الخلاصة النحوية ، 93-94) .

الألـــف واللام :

قال الدكتور تمام حسان (الخلاصة النحوية ، 94) : " مجمل القول في الربط بأداة التعريف (ال) ،فهي إما عهدية في قوة الإشارة ، وإما جنسية في قوة ضمير الشخص ... مثل : رماني بحجر فأصابني في الرأس ، أي : في رأسي " . ومثال العهدية قوله تعالى :" كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً(المزمل: من الآية 15) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً" (المزمل: 16) ، أي : فعصى فرعون الرسول الذي أرسله الله تعالى إليه ، ومثال الجنسية قوله تعالى : " إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا" (الأحزاب:10) ، أي : إذ زاغت أبصاركم ، وبلغت قلوبكم حناجركم .

قرائن الحـذف :

يعمد المتكلم إلى الحذف اختصارا ، ولا بد للحذف من قرينة دالة عليه تحفظ للكلام تماسكه ووضوحه ، من ذلك قوله تعالى : " وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ " (الأحزاب: من الآية35) ، أي : الحافظات فروجهن ، ومن الحذف ما يستدلّ عليه بالتنوين ، ويدعى تنوين الحذف ، وهذا النوع من التنوين يعتمد رابطا بين المحذوف وعناصر الجملة الأخرى ويغنى به عن الإعادة ، مثل قوله تعالى : " وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ " (الواقعة:84) يشير إلى قوله تعالى : " فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ " (الواقعة:83)

* توظيف اللفظ والعبارة :

وقد يوظف لفظ من الجملة لغرض الربط بالإحالة ؛ إذ يتكرر بذاته فيحيل إلى ذكره الذي سبق ، مثل قوله تعالى : " وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " (آل عمران: 78) ، وقال تعالى : " اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ "(النور: من الآية 35) ، وقال تعالى : " دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (يونس:10) .

(انظر : الدكتور تمام حسان ، الخلاصة النحوية ، 90) .

وقد توظف العبارة بقصد توثيق العلاقة بين الكلام وآخره ، قال تعالى : " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ " (البقرة: من الآية 253) (انظر : الدكتور تمام حسان ، الخلاصة النحوية ، 98) .

* المطابقة :

ويؤدي التزام النسق بين ألفاظ الجملة الذي يعبّر عنه بالمطابقة إلى الربط ، فقولك : العاملان المخلصان يجيدان العمل قد ترابطت فيه الكلم ، فلو قلت : العاملان المخلصات تجيد العمل ، لانفكت عرى الجملة فيه . (انظر : الدكتور تمام حسان ، الخلاصة النحوية ، 96) .

ثانيا – علاقات معنوية:

تحكم التراكيب اللغوية وجوه من التعلق تجعل بعض الكلم يأخذ بحجز بعض كما يقول الجرجاني ، فالجملة وهي تركيب لغوي تام عبّر عنه سيبويه بالإسناد وقال " هذا باب المسند والمسند إليه ، وهما ما لا يغنى واحد من الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدّا " (الدكتور البكاء ، كتاب سيبويه ، ق1 ، ج 2 ، الباب الأوّل) ، والإسناد ثلاثة أنواع : إسناد الفعل ، وإسناد الاسم ، والإسناد الذي بمنزلة الفعل مثل النداء والحروف الخمسة ، وقد عالج سيبويه أيضا التراكيب اللغوية غير التامة في الجزء الثاني في أحوال إجراء الاسم على ما قبله (الدكتور البكاء ، كتاب سيبويه تصنيف منهجي وتحقيق علمي ، ق1 ،ج 2 المقدمة) ، والتراكيب غير التامة هي : الإضافة ، والإتباع بنعت أو توكيد أو بدل أو عطف ، وتركيب ما لا يصح أن يكون صفة لصاحبه وهو الحال ، ولا وصفا وهو التمييز، مثل قوله تعالى : " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (الفاتحة:2، 3) ، فيها المركب الإضافي (ربّ العالمين) ، وتركيب الإتباع (ربّ العالمين الرحمن الرحيم) بين (ربّ) وكلّ من (الرحمن) و (الرحيم) ، وفي قوله تعالى : " وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي "(لأعراف: من الآية150) تركيب الحال مع صاحبه ، وفي قوله تعالى : " وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً "(القمر: من الآية 12) تركيب التمييز مع متعلقه (الأرض عيونا) الذي يصح فيه (عيون الأرض) على الإضافة .

وثمة نوع من التراكيب يتضمن علاقة رابطة نبّه عليها الدكتور تمام حسان هي علاقة التضام :" فالكلمة في الجملة يغلب أن تتطلب كلمة أخرى في حيّزها " ذكر منها الافتقار والاختصاص ، فأمّا الافتقار " فمعناه أنّ لفظا ما لا يستقلّ بالإفادة و لا يوقف عليه في الكلام غالبا ، وإنّما يتطلب في حيّزه لفظا آخر لا غنى له عنه " مثل علاقة الجارّ والمجرور ، وحرف العطف والمعطوف ، وهكذا ، وأمّا الاختصاص " فمعناه أن يدخل الحرف على مدخول بعينه " مثل : (إنّ) التي تختص بالدخول على الأسماء ، واختصاص حروف الجزم بالأفعال المضارعة ، وحروف الجرّ بالأسماء (انظر : الدكتور تمام حسان ، الخلاصة النحوية ، 80) ، وفي

تقديري أنّ الاختصاص هو قسم من الافتقار ، وليس قسيما مباينا ، فالافتقار يتضمن ما يتطلب مدخولا بعينه ، وآخر ما لا يختص ، مثل : حروف العطف .

وتحكم هذه العلاقات حالة من الترتيب أو ما يسمى اصطلاحا بالرتبة التي ينالها التقديم والتأخير في بعض الأحوال نحو قوله تعالى : " سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ" (القدر:5) ، وقد تقع حالة الحذف لأحد عناصر التركيب ، مثل قولـــــه تعالى : " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " (الفاتحة: 1) ، والتقدير : ابدأ بسم الله الرحمن الرحيم ، أو حالة من الفصل بين العنصرين المتلازمين ، مثل قوله تعالى : " وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ "(الأنعام: من الآية 137) ، فصل بين المصدر وفاعله على أن يراعى في التركيب أوالتأليف السلامة وصحة المعنى ، فلا يصحّ مثلا : الأحلام الخضراء تنام في الشارع ، وقد دعاها تمام حسان بالمناسبة المعجمية بين عناصر التركيب من حيث المعنى ، فلا الأحلام تنام ، ولا الحجر يقرأ لو قلت : قرأ الحجر دم النخلة (انظر : الدكتور تمام حسان ، الخلاصة النحوية ، 19، 81) .

ومن العلاقات التي تحكم الجمل ما يقع في دائرة الجمل الرئيسة أو الكبرى التي تتضمن جملا فرعية صغرى تجئ جزءا من الجملة الرئيسة ، فتلك الجمل التي يسميها النحويون بالجمل التي لها محل من الإعراب مثل جملة الخبر نحوقوله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا " (البقرة: من الآية 26) فيها جملة (لا يستحي ...) خبر إنّ ، وقد تكون الجملة الصغرى لا محلّ من الإعراب ، نحو الجملة الاعتراضية ، مثل قوله تعالى : " ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ " (البقرة:2) ، فيه جملة (لا ريب فيه) لا محلّ لها من الإعراب عند بعضهم .

وثمة علاقات معنوية تحكم ربط النص وتماسكه كعلاقة التفسير، والتعليل ، والسببية ، والتفصيل ، وغيرها ، قال تعالى : " فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ " (البقرة:10) ، وقال تعالى : " وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ " (البقرة:49) (انظر : الدكتور تمام حسان ، الخلاصة النحوية ، 99) .

ثالثا – أساليب فنية :

يعمد المتكلم أحيانا إلى بعض الأساليب الفنية في التعبير عن أفكاره ، فيتخذ لها من وجوه البيان سبيلا ، ومن المحسنات البديعية أسلوبا لإضفاء نوع من الجمال والتصوير الفني ، وتؤلف بعض هذه الطرق والأساليب نوعا من الربط والسبك للجملة والنص ، من ذلك التشبيه الذي يعقد فيه المتكلم بين طرفين بلفظ من ألفاظ التشبيه لتحقيق معنى من المعاني التي يراها في المشبه أقوى منها في المشبه به ، مثل قوله تعالى : " مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ " (البقرة: 17) ، ومن البديع قوله تعالى : " وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ "(الروم:55) ، فكلمة (الساعة) قد وردت بلفظ واحد في معنيين اثنين ، وهو

من المحسنات اللفظية ، فضلا عن أهميتها في تماسك الجملة ، ومنها الجناس ، ومراعاة رؤوس الآي والانسجام الصوتي الذي يوحد النص في مستوى من التناغم والإيقاع ، وربما لا مس إيقاع الشعر ، مثل قوله تعالى في سورة الكوثر : " إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ" (الكوثر:3) .

المبحث الثاني
النص من حيث الدلالة

يتضمن النص من حيث الدلالة الأفكار التي تعبّرعنها جمله ، والمعنى العام للنص نفسه ، فلما **أفكار الجمل** فقد استوفى الجرجاني الكلام عليها ، من ذلك أنّه يرى أنّ فكرة الجملة أو معناها يكتمل عند تمامها وآخرها ، قـــال معلّقا على قول بشار(دلائل الإعجاز ، 339) :

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

" (كأنّ مثار النقع) إلى (أسيافنا) جزء واحد ،و(ليل تهاوى كواكبه) بجملته الجزء الذي إن لم تأت به لم تكن قد أتيت بكلام " .

وثمة قرائن ودلالات للكشف عن فكرة الجملة ومعناها أوضحها تمـــام حسان (الخلاصة النحوية ، 22-24) فقد ذكر عددا من القرائن التي تكشف عن المعنى ، وهي : النظام الصوتي ، والنظام الصرفي ، والنظام النحوي ، ودلالة السياق ، والدلالة الحاليّة ، فالنظام الصوتي يتمثل بعلامات الإعراب وقد تحدّث عن هذه العلامات النحويون القدامى ، ومنهم ابن فارس الذي جعل علامات الإعراب دوال المعاني ...، وأمّا النظام الصرفي الذي يتضمن قرينتي البنية والأداة ، فدلالة فَعَلَ غير فَأْعَلَ مثلا ، قال تعالى : ..يخادعون ...، وهي قرينة من قرائن البنية ، وتدلّ الأدوات مثل : إنّ ، واللام على التوكيد ، نحو قوله تعالى : إنّ النفس ... ، وأمّا النحو الذي يتضمن علاقات التركيب فإنّه يكشف عن المعاني النحوية في الكلام ، وقد أوضح تمام حسان أنّ التركيب بما يتضمن من علاقات التضام والرتبة والربط وقرينة السياق يكشف عن علاقات المعنى في الجملة الواحدة .

أما **المعنى العام للنص** فقد عالجه الجرجاني في ضوء نظرية النظم ، فأوضح أنّ المعنى العام هو ما تناتج من مجموع جمل النص ، فهو يقول (دلائل الإعجاز ، 94): " وهل تشك إذ فكّرت في قوله تعالى : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (هود:44) فتجلى لك منها الإعجاز . . . لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض . . . وأنّ الفضل تناتج ما بينها ، وحصل من مجموعها " .

وثمة قرائن ودلالات للكشف عن معنى النص العام تبدأ من المستوى النحوي الذي يتناول التركيب اللغوي ، قال تمام حسان (الخلاصة النحوية ، 23) : " فهذه القرينة هي المعينة على وضوح المعنى في قوله تعالى : (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ)(الكهف: من الآية 16) ؛ إذ إنّ التركيب في ذاته لا يمنع أن تكون (ما) في قوله (وما يعبدون) نافية ، ولكنّ قرينة السياق التي تتمثل في قوله تعالى قبل ذلك مباشرة : (هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً)(الكهف: من الآية 15) تدلّ على أنّ (ما) موصولة ، وأنّ (إلا) بمعنى (غير) أو (من دون) " ، وكذل 0ك القرينة الحالية التي تقع خارج الكلام ، قال تمام حسان (الخلاصة النحوية ، 24) : " ففي قوله تعالى : (وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ)(الأحزاب: من الآية 48) لا يمكن أن يستفاد من التركيب مَنْ الذي كان يؤذي الآخر ، ولكنّ قراءة السيرة النبوية الطاهرة تدلّ على إيذائهم إياه ، فالسيرة هي القرينة " ، وجعل من القرينة الحالية ما سمّاه بنغمة الكلام ، أي : التنغيم İntonation ، وهي تنتمي إلى القرينة الحالية ، قال تعالى : " فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي " (الأنعام: من الآية 77) ، فقد تحتمل الاستفهام الذي يراد به فهم المجهول ، وقد تحتمل الإنكار ، والتنغيم في تأدية الجملة هو الذي يفرق بين المعنيين .

ولعل أقرب اللغويين الغربيين الذين تكلموا على تلقي النص وتفسيره إلى أفكار أئمة اللغة من العرب هما فانديك وكينتش اللذان تحدثا عن نمذجة فهم النص من مستويات متعددة (مدخل إلى علم اللغة النصي ، فولفجانج ، 159) تبدأ من (مستوى قضايا النواة على أنها الوحدات الأساسية الدلالية) الذي يقابل تصورات اللغويين العرب في بحث دلالة الجملة ، وتنتهي هذه المستويات إلى (مستوى البنية الشاملة) عبر (مستوى القضايا المركبة ، ومستوى التناسق الموضعي ، ومستوى البنية الكبرى) التي رصدها اللغويون العرب في الكلام على النص وهم يتدبرون قضاياه وجمله ، وعلاقاته وروابطه في بنية النص الكبرى . وتناول كلارك في نظرية حلّ المشكلة النص المبلغ والسياق اللغوي وغير اللغوي (مدخل إلى علم اللغة النصي ، فولفجانج ،156) ، وهو بذلك يمس مسألة القرائن المقالية والحالية وأثرها في فهم النص وتفسيره التي عالجتها الدراسات اللغوية العربية .

تطبيقات منهج علم اللغة النصي في دراسة القرآن الكريم
نصوص العقيدة والإيمان

سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (7)

نبدأ مع بداية القرآن الكريم بسورة الفاتحة ، و هي نص واحد متكامل موضوعه الكلام على الإيمان ، والمدخل إلى الهداية، وتسمى فاتحة الكتاب ؛ لأنّها مقدمته ، فهي المقدمة الفكرية التي تتناول أسس العقيدة والإيمان . ونقل البقاعي قول أبي الحسن الحرالي مؤلف مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل :" وكانت سورة الفاتحة أمّا للقرآن ؛ لأنّ القرآن جميعَه مفصِّل لمجملِها " (نظم الدرر ، 1/ 22)

* ما العلاقة بين هذا النص والنصوص اللاحقة لها ؟

- سورة الفاتحة قد مهّدت إلى تصنيف الناس في ضوء موضوع الإيمان الذي ورد في مفتتح سورة البقرة ، فالناس في ثلاث طوائف هي المؤمنون ، والكافرون ، والمنافقون ، فقوله تعالى في سورة الفاتحة (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة: 6) قد تضمن الكلام على المؤمنين المتقين في سورة البقرة: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الذين يؤمنون...) (البقرة: 2) ، وقوله تعالى في سورة الفاتحة: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ)(الفاتحة: من الآية7) قد تضمن الكلام على الكافرين في سورة البقرة: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ...) (البقرة:6) ، فهؤلاء هم المغضوب عليهم مثل بني إسرائيل،وقد صرّح تعالى بكفرهم

وبغضبه عليهم : (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ...)(البقرة: من الآية 61) وتضمن كذلك الكلام على المنافقين: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) ،وقال تعالى فيهم : (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى)(البقرة: من الآية 16) ، فهؤلاء هم الضالون مثل النصارى: : (وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) (المائدة:77) (أساس التفسير ، حوى ، 1/ 87) ، (نظم الدرر ، البقاعي ، 1/ 40) .

* وما جمل نص سورة الفاتحة ؟

- سورة الفاتحة نص مكيّ ، وقيل : نزل ثانيا بالمدينة، وهو يقع في الجمل الآتية جملة البسملة :

والمعنى: ابدأ بسم الله الرحمن الرحيم قبل كلّ شيء ، مستعيناً به في جميع أمورك؛ فهو الموصوف بالرحمة التي وسعت كلّ شيء . و(الرحمان): فعلان ، قيل وهو المشهور:هو وصف خاص بالله تعالى ، وصفاته هي أسماؤه – وهو في نظرنا اسم نحويا ويعرب ههنا بدلا من لفظ الجلالة (الله) ، ذلك ما وقفنا على استعماله في القرآن الكريم ، ومنه :(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)(طه 5) ، فهو اسم مبتدأ ، وقال تعالى : (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ)(الرعد 30) ، فهو اسم مجرور - . و(الرحيم): فعيل من الرحمـة أيضاً

وهذه الجملة فعلية على تقدير (ابدأ) ، ويحتمل أن تكون اسمية على تقدير (الابتداء بسم الله الرحمن الرحيم) . والمناسب لأسباب نزولها يقتضي الأمر بالفعل ، فقد ورد بعد نزولها أوّل مرّة قوله تعالى " ، اقرأ بسم ربّك ..." ، وهو طلب فعل وأمر بالقراءة .

* وما الجملة الثانية ؟

-الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ .

المعنى المقصود بهذه الجملة تقرير صفات الله تعالى ، فهي فكرة الجملة . أما افتتاحها بالحمد فهو ملازم للإيمان به على الوصف المذكور ، ومثله للتقريب أنك تقول : الشكر لزيد ،فأنت تقصد بيان صنيعه لك الذي استوجب الشكر له ، فليس الشكر هو المقصود الأوّل في كلامك ، فهو قد قدّم صنيعا لك ، ولازم ذلك أنك تشكره ؛ فالحمد له تعالى قد استوجبه تفرده بتلك الصفات، فهو موصوف بالربِّ ، والرحمان ، والرحيم ، ومالك يوم الدين ؛ فتلك صفـــات أربع لا تنفك عنه تعالى، وهي التي حددت فكرة الجملة ، ووجوه تعلقها . وعلينا متابعة قراءة هذه الجملة لتتضح الفكرة المتعلقة بتقرير صفاته بما يلازمها وهو الحمد ، وهذا هو الذي ينبغي أن نبحث عنه في ثقافة النص بجمله التي تنسج نظمه .

* والجملة الثالثة :

- إِيَّاكَ نَعْبُد .

والمعنى: نخصّك بالعبادة ؛ فلا نعبد أحداً سواك ، وهذه الجملة فعلية تقدم فيها المفعول (إيّاك) للتخصيص ، والأصل (نعبدك) وليس فيه تخصيص ؛ فقد يصح أن

تكون العبادة لله ولغيره أيضاً ، ففكرة الجملة هي تخصيص الله بالعبادة وحده باستخدام أسلوب تقديم ما حقه التأخير .

* والجملة الخامسة :

- وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

والمعنى: نخصك بطلب الإعانة ؛ فلا نستعين بأحد سواك ، وهذه الجملة فعلية تقدّم فيها المفعول (إيّاكَ) للتخصيص أيضا ، والأصل (نستعين بك) ، وليس فيه تخصيص كما تقدم .

* والجملة السادسة :

- اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ .

والمعنى: أرشدنا إلى طريقك المستقيم ، ويراد به الدعاء بالاستمرار عليه لدى المسلمين خاصة ؛ فالطريق المستقيم هو الإسلام ، وهو طريق من تفضّلت عليهم الذين ليس منهم من غضبت عليهم ولا الذين ضلّوا عن الدين ، وبعبارة أخرى : إنّه بمعنى اهدنا الصراط المستقيم صراط غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فهؤلاء وهؤلاء ليسوا من المهتدين أصلا ، وقد كان البدل (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) تحديدا لمعنى الصراط ، والوصف بـ (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ) تقييد لمن أنعم الله عليهم ، وقد اتضح أنّ الكافرين هم المغضوب عليهم مثل بني إسرائيل ، وأنّ الضالين هم المنافقون ومنهم النصارى .

- قال تعالى (أَنْعَمْتَ) فأسند النعمة إليه ، ولكنّه لم يقل : " غير الذين غضبْتَ عليهم ؟ "

* أسند تعالى النعمة إليه باستخدام الضمير تاء الفاعل في (أَنْعَمْتَ) ولم يسند إليه الغضب والضلال (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ) ؛لأنّ ذلك من فعل البشر أنفسهم ونتائج سلوكهم ، ومثله قولـــه تعالى (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)(ابراهيم: من الآية7) ، فأسند إيقاع الزيادة إليه تعالى ، ولم يجعل جزاء الكفر كذلك، وهو من بديع القول وإعجازه . .

* التفسير البياني لنص سورة الفاتحة :

- يلفت النظر في هذا النص تنوع صور الخطاب ، وهو ما يعرف بالألتفات في علم البلاغة والبيان.

- في قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: 5) أنموذج لبيان معنى الإعجاز البلاغي ، وهو أنّ هذا التعبير القرآني قد بلغ حدّ الإعجاز على وجه لا يستطاع التعبير عن هذه الفكرة بأفضل من هذا التأليف ، فلو قلت مثلا : نخص الله تعالى وحده بالعبادة أو غيرها لكان تعبير القرآن أفضل مطلقا على وفق قاعدة : خير الكلام ما قلّ ودلّ ، فهي في القرآن بلفظين ظاهرين وضمير مستتر ، ولا يمكن أن تؤلف جملة أخرى تتضمن هذه الفكرة بأقلّ من هذه الألفاظ مع وحدة تعلقها ، وهذا هو معنى الإعجاز في القرآ ن ، وهو أنّ العرب لا تستطيع التعبير عن أفكار

القرآن بأفضل مما عبّر به ، ويقع ذلك في جميع آياته ، فقد يحسن القول لدى المتكلم ويبلغ به ضربا من البلاغة ، ولكن لا يجري ذلك في جميع كلامه .
- في قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) جعل العبادة وسيلة للاستعانة ، قال الزمخشري : " إنّ تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة عليها "
- في قوله تعالى : (اهْدِنَا) بيان للمطلوب من المعونة ، كأنّه قيل : كيف أعينكم ؟ فقالوا : اهدنا . ومعنى طلب الهداية للمهتدين طلب للزيادة (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً)(محمد: من الآية17)، وقيل : بمعنى الدوام والتثبيت .

* عناصر تماسك النص :
- وحدة المعنى تدلّ على ترابط النص ، فقوله تعالى (رَبِّ الْعَالَمِينَ،الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) هو الصورة اللفظية الرئيسة للجملة . وقوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ) لازمٌ للمعنى كما أوضحنا ، وكان قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ذا علاقة سببية بما سبق ، فلكونه رب العالمين ذا الصفات المعروفة الرحمان الرحيم ، لزمه الحمد له ، ونتج عنه أنّه يستحق العبادة وحده ، وأنّنا نستعين به متوسلين إليه بالعبادة ، فالعبادة طريقنا للاستعانة به (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)(المائدة: من الآية 27) ، ومن صور الاستعانة به أن ندعوه لهدايتنا إلى الصراط المستقيم ، قال تعالى : "وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (يونس:25) .
- ومن عناصر تماسك النص اللفظية ضمائر الخطاب (إِيَّاكَ) ، والمضمر المستتر في (اهْدِنَا) بعد ذكر الاسم المظهر (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة:2) .

سورة البقرة

قال تعالى في مفتتح سورة البقرة : " آلم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه " ، وقد عبّر في موضع آخر بالكتاب عن التوثيق ، قال تعالى :(فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ)(البقرة: من الآية282) ، وعبّر عنه با لفرض والوجوب ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (البقرة: 183) ، وهذا يسمح لنا أن نقول : إنّ الله تعالى أراد بالكتاب الوثيقة التي ينبغي الالتزام بها ، وفي نوع من المقاربة كأنّا أمام ما يعرف في العصر الحديث بالدستور الذي يتضمن أصول العقيدة، وأحكامها ، فإذا تمّ هذا المعنى نرى أنّ سورة الفاتحة هي مقدمة هذا الدستور الإسلامي وقد تضمنت النص على كون الله : " رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ " (الفاتحة: 1-4) ، وأنّ الصراط المستقيم هو الإسلام : " صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ " (الفاتحة: 7) . ونقل البقاعي قول أبي الحسن الحرالي مؤلف (مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل):" وكانت سورة الفاتحة أمّا للقرآن ؛ لأنّ القرآن جميعه مفصّل لمجملها " (نظم الدرر ، 1/ 22) . ومما يؤكد منهجة القرآن الكريم وترابط نصوصه أنّا نجد سورة الفاتحة قد نصّت على تصنيف الناس في ضوء موضوع الإيمان الذي ورد في مفتتح سورة البقرة ، فالناس في ثلاث طوائف هي المؤمنون ، والكافرون ، والمنافقون ، فقوله تعالى في سورة الفاتحة (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة: 6) قد تضمن الكلام على المؤمنين في سورة البقرة: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة:2) ، وقوله تعالى في سورة الفاتحة: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ)(الفاتحة: من الآية 7) قد تضمن الكلام على الكافرين في سورة البقرة: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) (البقرة: 6) ، فهؤلاء هم المغضوب عليهم مثل بني إسرائيل،وقد صرح تعالى بكفرهم وبغضبه عليهم : (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ...)(البقرة: من الآية 61) وكذلك الكلام على المنافقين: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) ،وقال تعالى فيهم : (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى)(البقرة: من الآية 16) ،

فهؤلاء هم الضالون مثل النصارى: : (وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) (المائدة:77) (أساس التفسير ، حوى ، 1/ 87) ، (نظم الدرر، البقاعي ، 1/ 40) .

وإذا ما تدبّرنا سورة البقرة ، وجدناها تبتدئ بالنص الأوّل ، أو المادة الأولى من هذا الدستور ، وهي شرح المصطلحات المتعلقة بالدستور ، وتلك المصطلحات هي : المؤمنون المتقون ، والكافرون ، والمنافقون ، وبعد عشرين آية تتوالى النصوص التي تتضمن الدعوة للإيمان " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (البقرة:21) ، وفي قوله تعالى "تَتَّقُونَ " عود إلى النص الأوّل في سورة البقرة الذي تحدث فيه عن المتقين ، ثم تتكامل النصوص التي تتحدث عن بني إسرائيل أنموذجا لأمة الكفر ، ثم النصوص التي تع رض سيرة سيدنا إبراهيم أنموذجا لأمة الإيمان ، وهكذا يجري تصنيف سورة البقرة في مباحث ذات نصوص متتابعة في ضوء نظرية قراءة النص على الوجه الآتي :

*** مصطلحات الإيمان (سورة البقرة 1- 20)**
*** نصوص الدعـوة إلى الإيمان (سورة البقرة 21- 39)**
***بنو إسرائيل أنموذجا لأمة الكفروالعصيان (سورة البقرة 40- 23)**
***إبراهيم أنموذجا لأمة الإيمان والإسلام(سورة البقرة 124- 141)**
*** نصوص الأحكام والعبادات (سورة البقرة 142- 286)**

الباب الأوّل
مصطلحات الإيمان

يبدأ القرآن الكريم بسورة الفاتحة التي هي مقدمة القرآن و ديباجة الإيمان والمدخـــل إلى دستــور الإسلام ، ثم تناول في السور الباقية أحكام الإيمان وتفصيلات القول فيها ، وما يتعلق بها من موضوعات متعددة ، ونبدأ بسورة البقرة ، وهي تتضمن في مفتتحها ثلاثة نصوص في قسمة الناس في ضوء موضوع الإيمان إلى المتقين ، والكافرين ، والمنافقين ، وتفصل القول في توضيحها ، حتى تعلم حدود هذه المصطلحات و تعريفاتها على ما يجري في مقدمة الدساتير من توضيح المصطلحات :

المؤمنون :

" آلم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ (5)

والتحليل اللغوي لهذه الجملة في ضوء المعنى هو:

آلـــم ، ذلك الكتـــــاب – لا ريب فيه – هـدى للمتقين :
الذين يؤمنون بالغيب والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
ويقيمون الصـــــــلاة وبالآخرة هم يوقنون
ومما رزقناهم ينفقون

الكافرون :
" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)
والذي يلفت النظر في هذا النص أنّ آياته اختلفت في أسباب نزولها ، وتفاوتت في أزمنة وقوعها وظروفها ، ولكنّها تكاملت في مبحث منهجي واحد ، فالآيتـــــان 6-7 نزلتا في يهود المدينة ، وأخرج عن الربيع بن أنس ، قال : آيتان نزلتا في قتال الأحزاب ،وهما " إنّ الذينَ كَفَرُوا .... " إلى قوله تعالى :" وَلَهُم عَذَابٌ عَظيمٌ " ، فهما آيتان نزلتا في مناسبة معينة (كتاب النقول في أسباب النزول - تفسير الجلالين 1) ، ولكنّهما تآلفتا في نص واحد موضوعه الكلام على فئة الكافريـــــن ، وقد جاءتا بعد أربـــــع آيات تتآلف في نص عن (المؤمنون) .

المنافقون :
"وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) ... إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)"
والذي يلفت النظر في هذا النص الذي يتحدث عن (المنافقين) أنّه في ثلاث عشرة آية من الآية 8 إلى الآية 20 ، اختلفت في أسباب نزولها ، وتفاوت الأزمنة في وقوعها ، منها الآية 14 ، وهي قوله تعالى :" وَإذا لَقَوا الذينَ آمَنُوا قالوا آمنّا..." إلى قوله تعالى : " إنّما نحنُ مُسْتَهْزِئُونَ" نزلت في عبد الله بن أُبيّ وأصحابه في يوم من الأيام ، وهي تأتلف مع الآية 19 ، وهي قوله تعالى :" أو كَصَيِّبٍ من السماءِ ..." إلى قوله تعالى :" واللهُ محيطٌ بالكافرينَ " التي نزلت في رجلين من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين ، فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله ، فجعلا أصابعهما في آذانهما ، وقد ناسبت هذه الآية في هذين الرجلين الكلام على المنافقين في المدينة الذين إذا حضروا مجلس النبي - صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين – جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقا من كلامه ، وهي كما نرى تناسب الكلام على المنافقين عامة (كتاب النقول في أسباب النزول - تفسير الجلالين 1-9). وهكذا تتضح حكمة ترتيب الآيات في مواضعها من السور .

الباب الثاني

نصّوص الدعـوة إلى الإيمان
سورة البقرة 21- 39

عقّب سبحانه وتعالى على موضوع الإيمان وتصنيف الناس في ضوئه إلى المتقين والكافرين والمنافقين، وقد تناول ذلك في القضايا الآتية:

أوّلا- الأمر بالعبادة:

وقد تضمن النص الآتي الأمر بالعبادة :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)

* * *

ثانيا - الأمر بالتصديق ونفي الريب والشبهات عن القرآن:

هذا تعقيب على قوله في صدر سورة البقرة (ذلك الكتاب لا ريب فيه) وقد تضمن النصوص الآتية:

الأوّل – إقامة الحجة على نفي الريب:

أوضح الله تعالى الحجة على نفي الريب، ويقع ذلك في النص الآتي :

" وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (23)

الثاني – الترهيب والترغيب:

" فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24) "

"وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)"

الثالث- الرد على الطاعنين في ضربه بعض الأمثال:

طعن الكافرون على القرآن الكريم في ضربه بعض الأمثال بصغار الحيوانات كالعنكبوت والذباب، فكانت هذه الآيات ردا عليهم لنفي جميع الشبهات عنه:

"إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (26) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ (27)"

* * *

ثالثا : إبطال حجة الكافرين :

تضمن نص الآيات التي تناولت إبطال حجة الكافرين موضوعين :

الأوّل : قدرته تعالى على الموت والحياة :
وقد تضمن هذا الموضوع الجملة الرئيسة الآتية :
" كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (البقرة:28)
الثاني : قدرته على الخلق :
وقد تضمن موضوع الخلق نوعين :
أوّلهما : خلق الكون :
وقد عبر عنه بالجملة الآتية :
"هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (البقرة:29)"

ثانيهما : خلق الإنسان :
تناول الله تعالى في هذا الموضوع قصة خلق آدم مبينا الغرض من خلقه، وتخصيصه بتعليم الأشياء والأسماء، مستطردا في حكاية إبليس وهبوط آدم بسببه إلى الأرض.
وقد عبّر عن ذلك بالنص الآتي :
" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (30) ... أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)"

الباب الثالث
بنوإسرائيل أنموذجا لأمّة الكفر والعصيان
سورة البقرة 40- 123

*** النص الأوّل – بنو إسرائيل والتذكيـــر بنعم الله تعالى**
*** النص الثاني - بنو إسرائيل ومخالفاتهم أوامر الله تعالى**
*** النص الثالث – دروس في التعامل مع أهل الكتاب**

تؤكد الآيات الكريمة ابتداء من الآيـة (40) إلى الآية (123) أنّـنا أمام مبحث متكامل يعنى بالكلام على بني إسرائيل أنموذجا لأمة الكفر ، لننتقل مباشرة إلى مبحث يقابله عني بالكلام على إبراهيم أنموذجا لأمة الإيمان ؛ وقد تناول القرآن الكريم هذين الأنموذجين بعد الكلام على موضوع الإيمان وتصنيف الناس في ضوئه إلى مؤمنين وكافرين ومنافقين ، والتعقيب عليه بأوامر ونواه عديدة . ومما يدلّ على وحدة السياق في مبحث بني إسرائيل أنموذجا لأمة الكفر أنّ هذاالبحث بدأ بقوله تعالى : (يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ

بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (البقرة: 40) ، وانتهى بقوله تعالى (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (122) وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (123) ، ويتضح من قراءة الآية التي بدأ بها الكلام على بني إسرائيل ، والآية التي ختم بها البحث عنهم أنّ آية الابتداء تذكير بالنعمة ، وطلب بالوفاء بالعهد ، وأمرٌ بالخوف منه تعالى ورهبته في حين تضمنت آية الانتهاء الوعيد لهم بيوم الجزاء الذي سيصيرون إليه ، وكأنّه سبحانه وتعالى يذكرهم بقدرته على عقابهم في نهاية الأمر بيوم لاينفع فيه عدل ولاشفاعة. وقد اشتمل هذا الخطاب على عدة عنوانات فرعية .

النص الأوّل
إسرائيل والتذكير بنعم الله تعالى
سورة البقرة 40- 60

تضمن هذا الخطاب الكلام على بني إسرائيل الذين يذكّرهم الله تعالى بنعمته طالبا منهم تأدية بعض الواجبات، وقد فصل القول في هذه النعم نعمة نعمة، وسنتناول ذلك في النصين الآتين:-

- التذكير بالنعمة وطلب الوفاء بتأدية الواجبات:

(الوفاء بعهد الله والرهبة منه، والإيمان بما أنزل إليهم، وإظهار الحق، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والركوع وهم لا يركعون في الصلاة، وأمر أنفسهم بالبر، والاستعانة بالصبر والصلاة).

- التذكير بالنعم وتفصيل القـــول في ذكرها:

(نجاتهم من آل فرعون، ونجاتهم من الغرق، وعفوه عنهم باتخاذهم العجل، وإيتاؤهم التوراة، وتوبته عليهم من قتل أنفسهم وبعثه لهم من بعد صعقهم، وتظليلهم بالغمام، وإنزال المن والسلوى وإباحة أكل الطيب وغيرها).

وفيما يأتي تفصيل القول في ذلك :

أوّلا – التذكير بنعم الله وطلب الوفاء بتأدية الواجبات :

خاطب الله تعالى بني إسرائيل بأن يذكروا نعمته طالبا منهم الوفاء لذلك بتأدية ما عليهم من الواجبات، وهذه الواجبات: الوفاء بعهد الله، والرهبه منه، والإيمان بالقرآن الكريم مصدقا للتوراة، وإظهار الحق، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالركوع لأن اليهود يؤدون صلاتهم بدون ركوع، وأمر أنفسهم بالبر، والاستعانة بالصبر والصلاة.

وقد تضمن ذلك النصوص الآتية :

الأوّل:- التذكير بالنعمة:

"يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ "

الثاني:- الوفاء بتأدية الواجبات:

" وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) ... وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46)"

* * *

ثانيا – التذكير بالنعم وتفصيل القول بذكرها:

خاطب الله تعالى بني إسرائيل بأن يذكروا نعمه وألاءه ، وتفضيله إياهم على العالمين ومطالبتهم باتقاء يوم القيامة ، ثم استطرد في عدّ هذه النعم ، وهي :

نجاتهم من آل فرعون ، ونجاتهم من الغرق ، وعفوه عنهم باتخاذهم العجل ، وإيتاؤهم التوراة ، وتوبته عليهم من قتل أنفسهم، وبعثه إياهم من بعد صعقهم ، وتظليلهم بالغمام عندما كانوا في التيه ليقيهم حر الشمس ، وإنزال المن والسلوى وإباحة أكل الطيبات .

وقد تضمنت هذه النعم الجمل الرئيسة الآتية ، وهي في نوعين :

الأوّل- التذكير بالنعمة وتفضيلهم وتحذيرهم :

"يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47) وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (48) "

الثاني – تفصيل القول في النعم :

1- نجاتهم من آل فرعون :

" وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)"

2- نجاتهم من الغرق :

"وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ (50)"

3- عفوه عنهم باتخاذهم العجل :

" وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52)"

4- إيتاؤهم الكتاب والفرقان :

"وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53) "

5- إعفاؤهم من قتل أنفسهم توبـة :

" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54) "

6- بعثهم بعد موتهم بالصاعقة :

"وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56) "

7- وقايتهم بظلال الغيوم من حرّ الشمس :

" وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ "

8- إنزال المنّ والسلوى :

"وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57) "

9- نعمته عليهم بدخول أريحا :
تضمن النص الآتي نعمته على بني إسرائيل بدخول أريحا من بلاد الشام ليأكلوا منها رغدا ، وقد وعدهم بغفران خطاياهم لو سجدوا طلبا للحطّ من ذنوبهم :
" وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) ...بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)"
10- انفجار العيون وسقايتهم :
" وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60) "
تعقيب :
الجملة " وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ " نهتهم عن الإفساد ، وهي في خاتمة النصوص التي جعلناها تحت عنوان (إسرائيل والتذكير بنعم الله تعالى)، وفيها تنبيه على أنّ بني إسرائيل قد أفسدوا ،ولم يو فّوا حقوق النعم بتأدية الواجبات .
وستتناول النصوص الآتية مخالفاتهم وقد سميناها (إسرائيل وكفرهم بنعم الله تعالى).

النص الثاني

إسرائيل وكفرهم بنعم الله تعالى

سورة البقرة 61- 103

تابعنا النصوص القرآنية التي تكلمت على الإيمان وأحوال الناس من متقين وكافرين ، ومنافقين ، ووقفنا على التعقيب في مسائل العقيدة وغيرها ، ثم تابعنا في الفصل الرابع الكلام على بني إسرائيل وتذكيرهم بنعمة وآياته ، وفي هذا الفصل وجدنا النصوص القرآنية تتناول كفر بني إسرائيل بتلك النعم والآيات ؛ ويدل على ذلك إنكاره عليهم طلب استبدال طعامهم بالذي هو خير ، وعقابهم بالذل والمسكنة ووصفهم بالقتلة والكافرين .
وتلك المخالفات كثيرة أولها عدم قناعتهم بما هو خير لهم من طعام المن والسلوى وطلب استبداله ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم النبيين ، وتوليهم عن الوفاء بالميثاق والعهد على العمل بما فيه التوراة ، واعتداؤهم يوم السبت ، وجريمة القتل التي كتموها لغرض تكذيب موسى (ع) ، وآخر هذه المخالفات النكراء سبهم النبى محمداً (ص) بقولهم (راعنا) ومعناه : اسمع لا سمعت .
وسنتابع هذه المخالفات في نصوصها المتتالية :
أولا – مخالفة عدم القناعة وطلب استبدال الطعام :
" وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ "

* * *

ثانيا – مخالفة كفرهم بآيات الله وقتلهم النبيين :

" وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61) "

تعقيب :

" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) "

هذه الجملة تعقيب لبيان أن المعول عليه هو اقتران العمل بالإيمان ، فليس بنافع بني إسرائيل ولا غيرهم ادعاؤهم الإيمان وهم يرتكبون المعاصي ويعتدون .

أراد بالذين آمنو المسلمين وقيل المنافقين منهم خاصة ، وأراد بالذين هادوا بني إسرائيل ، وتهود : دخل في اليهودية ، والنصارى : جمع نصران (فعلان) والياء للنسب (نصراني) ؛ وذلك لنصرهم المسيح أو لكونهم معه في قرية تسمى (ناصرة) وأراد بالصابئين : الذين زعموا أنهم صبوا إلى دين الله ووهم كاذبون ، وقيل : هم عبدة النجوم أو الملائكة .

* * *

ثالثا : مخالفة تركهم الأخذ بالتوراة :

تضمن النص الآتي إلزامهم بالقوة للأخذ بالتوراة ،ولكنهم تولوا عن القيام بذلك :

"وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُمْ مِنْ الْخَاسِرِينَ "

* * *

رابعا – مخالفتهم بالقضاء على الحوت :

تضمن النص الآتي نهيهم عن صيد الحوت والقضاء عليه ، وفيها تنبيه على وجوب المحافظة على البيئة ، فقد كانوا يحفرون الحياض ويفتحون إليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت ليصيدوها يوم الأحد :

"وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (66) "

* * *

خامسا – مخالفة قتل النفس وكتمان خبر القاتل لتكذيب موسى (ع) :

تضمن النص الآتي حكاية قتل بني إسرائيل نفسا وكتمان خبر القاتل عن النبي موسى(ع) الذي أوحي إليه بذبح بقرة وضرب المقتول بذنبها ليحيا ويخبرعن قاتله :

" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ (67) ... وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74)"

* **

سادسا – مخالفة تحريف كتاب التوراة :

تضمن النص الآتي مخالفة سماعهم كلام الله أو تلاوته في التوراة وتحريفه عند الإبلاغ به :
"أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) ... وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79) "

* * *

سابعا - مخالفات الكذب على الله تعالى :
" وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (80) ... هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82) "

* * *

ثامنا- مخالفة نقض المواثيق :
تضمن النص الآتي مخالفة نقض الميثاق وتوليهم إلا قليلا منهم عن عبادة الله تعالى ، وعدم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والخلق الحسن ، وتأدية الواجبات :
" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83) "

* * *

تاسعا – مخالفة الإيمان ببعض الكتاب :
تضمن النص الآتي نقض الميثاق بعد القتل والإخراج من الديار ولكنّهم كانوا يفادون الأسرى بمقتضى الحكم الشرعي ، وذلك تناقض يعنى : الكفر ببعض والأيمان ببعض ، وهو تنبيه على ضرورة وحدة الأيمان وعدم تجزئة الأحكام :
" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ... وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (86) "

* * *

عاشرا - مخالفة عدم الإيمان بالرسل والملائكة :
" وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ (87) ... لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)"

التعقيب :
وعقّب في نهاية هذه الآيات المباركة بلوم بني إسرائيل بعدم التقوى واجتراح المخالفات . وهذا التعقيب إشارة إلى نهاية الموضوع ، قال تعالى :
"وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103) "

النص الثالث
دروس في التعامل مع أهل الكتاب
سورة البقرة 104- 123

تناول الباب الثاني بني إسرائيل أنموذجا لأمة الكفر، وشمل الكلام النعم التي أنعمها الله تعالى عليهم ، ولكنهم تنكروا لها وجاءوا بالمخالفات الكثيـــرة التي تابعناها بالتفصيل ، ثم كانت الآيات التي بعدها تشكل تعقيبا موضحا أسباب ذلك مثل فسقهم وعدم رعاية العهود واتباعهم الشياطين ، ثم ينتهي هذا الباب بالكلام على ما ينبغي أن يفيده المسلون من دروس في التعامل مع أهل الكتاب عامة وبني إسرائيل خاصة .

أولا – تجنب ألفاظ الشتم بلغة إسرائيل :

تناول النص الآتي شتم بني إسرائيل النبي محمد (ص) مستغلين خطاب المؤمنين للرسول برعاية أحوالهم لموافقة لفظ (راعنا) في خطاب المؤمنين ما كان في لغة إسرائيل سبا ، إذ كانوا ويقولون للرسول الكريم (راعينو) أو (ارعني سمعك) يريدون : (اسمع لا سمعت) ، وقد تنبه إليها المؤمنون ،ونزل القرآن الكريم في استبدالها بعبارة (انظرنا) ، وقد تضمن هذا النص الجمل الرئيسة الآتية :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (104)

* * *

ثانيا : كفّ المسلمين عن مجاراة أهل الكتاب في إثارة الشبهات:

(سورة البقرة 105 – 122)

يتناول النص الآتي عدم رغبة بني إسرائيل في نزول الوحي على المؤمنين لاعتناق الإسلام دينا بديلا من ملتهم التي لا يرون في نسخها وتبديلها موجبا ، حريصين على البقاء على ما كانوا عليه ، وتجاهلوا علم الله تعالى بكلّ شئ من مصالح العباد في التغيير والنسخ ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى كفّ المسلمين من التدخل في تصرفاته :

" مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105) ... فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (108) "

* * *

ثالثا – ترك الكفار والانشغال عنهم بتأدية الواجبات :

" وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109) ... إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (110)"

* * *

رابعا : تسفيه أقوالهم وأمانيهم والتمسك بالإسلام لدخول الجنة :

"وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (111) ...فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113) "

* * *

خامسا : الجهاد دون مساجد الله والحرص على التوجه إلى القبلة بمكة :

"وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115)

* * *

سادسا : رفض ما يؤدي إلى الشرك به :

"وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (116) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)"

* * *

سابعا : عدم الاعتداد بالكافرين الذين تشابهوا في المطالبة بالآيات والدلائل على الإيمان وتصديق الرسول (ص):

"وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118) ... فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ (121)"

تعقيب : -

قال تعالى :

" يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (122) وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (123)"

تضمن النص السابق تعقيبا في نهاية الكلام على بني إسرائيل فيما أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم ، وبيان مخالفاتهم ، ومطالبة المؤمنين بالإفادة من ذلك من دروس وعبر .

وقد أعاد القرآن الكريم هذا الخطاب لبني إسرائيل ثانية بما بدأ به أول مرة (الآية 40) ليؤكد وحدة موضوع النص وترابط معانيه (انظر: 29).

الباب الرابع

إبراهيم أنموذجا لأمة الإيمان والإسلام

سورة البقرة 124 - 141

النص الأول – شروط الإمامة

النص الثاني – شعائر أمة إبراهيم

النص الثالث - موقف أهل الكتاب والتعامل معهم

تابعنا الآيات القرآنية في سورة الفاتحة فوقفنا على بيان فاتحة الإيمان ، ثم وقفنا في سورة البقرة على أصناف الناس في ضوء الأيمان فهم مؤمنون وكافرون ومنافقون . وبعد التعقيب على ذلك وجدنا الآيـــات في نوعين رئيسين أولها : (بنوإسرائيل أنموذج ا لأمة الكفر) ، وقد تضمن نعم الله عليه م ، و مخالفاتهم ، والدروس التي يفيدها المؤمنون من ذلك ، وسنتابع في هذا الباب ، أي : الباب الرابع النوع الثاني : (إبراهيم أنموذجا لأمة الإيمان) ، يبدأ بقوله تعالى

: " وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ...124 " . وينتهي بقوله تعالى:" تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141)" .

النص الأوّل
شــروط الإمامـــة
سورة البقرة 124- 125

وضّحت الآية 124 من سورة البقرة شروط الإمامة التي جعل بها الله سبحانه وتعالى إبراهيم إماما للمؤمنين ، وهذه الشروط هي :
أوّلا – الإمامة جعل إلهي للصفوة ، ثم يعهد بها بعضهم إلى بعض .
ثانيا – ابتلاء الصفوة بتأدية بعض الواجبات الإلهية .
ثالثا – اشترط العدالة في العهد بها وعدم تمكن الظالمين .
وقد تضمّنّ هذه الشرط النص الآتي :
"وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)"

النص الثاني
شعائـــر أمـــة إبراهيم
سورة البقرة 125 – 129

حرصت أمة إبراهيم على التكامل في أمة مسلمة ذات شعائر وعبادات ودعوات تقرّبهم إلى الله تعالى ليبعث منها رسول يعلمهم العبادات ، فكان النبي محمد (ص).
وقد ضمّت هذه الشعائر والعبادات النصوص الآتية :
"وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)... إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)"

النص الثالث
موقف أهل الكتاب والتعامل معهم
سورة البقرة 130- 141

من المؤكد أن تواجه الأمة المسلمة سلوكا معاديا لدى أه ل الكتاب وغيرهم في الرغبة عن ملة إبراهيم والدعوة إلى مللهم ، ولابد من التعامل معهم وردهم على أن ذلك لا يعني عدم الإيمان بالديانات السابقة :
"وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ (130) ... تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141)"
تعقيب :

"صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138)"
استئناف للكلام على (آمنا) أي : آمنا وقد صبغنا الله تعالى صبغة هي الفطرة التي فطر الناس عليها فهدانا للإيمان . وقد اختار(صبغة) لمشاكلة موقف النصارى الذين يعمدون أولادهم بماء أصفر ظنا منهم أن هذا الفعل الخارجي هو الذي يطهرهم ، ولم يتنبهوا إلى الفطرة السليمة .

تطبيقات منهج علم اللغة النصي في دراسة القرآن الكريم
نصوص الأحكـــام والعبـــــــادات

أوضحت الآيات 1- 141 مصطلحات الإيمان ونصوص الدعوة إليه ، ثم عرضت أنموذجين لأمــة الكفر والعصيان متمثلا ببني إسرائيل ، ولأمـة الإيمان والإسلام متمثلا بسيدنا إبراهيم عليه السلام في نصوص متسلسلة منطقيا متكاملة دلاليا ، وتابعنا الآيات الباقية من سورة البقرة 142 – 286 فوجدنا ها في نصوص تناولت الأحكام والعبادات ، على وجه ينسجم مع مقدمات الكلام على موضوع الإيمان ؛ إذ لابدّ للمؤمن الذي اتخذ الإسلام دينا أن يعرف واجباته من أحكام وعبادات ، وقد تابعناها فوجدنا في نصوص متكاملة ، وعلى الوجه الآتي :
النص الأوّل – أحكام التوجه إلى القبلة :
تناول موضوع القبلة الآيات من 142- 152 ، ومن عظيم القول أن الآيات 142- 150 نزلت في نص واحد مرّة واحدة بسبب أنّ النبي محمد (ص) لما صرف نحو الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس قال السفهاء ، وهم المشركون من أهل مكة : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ ، قال تعالى :
" سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142) ... وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)"
أما الآية 151 " كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) " فهي متعلقة بالآية السابقة ؛ فقوله " كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ " متعلق بالفعل (أتمّ) ، أي : إنّ إتمام نعمته على المسلمين أن ولّاهم الكعبة قبلة يقدسونها ، وأرسل فيهم رسولا منهم . اما الآية 152 فهي قوله تعالى " فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ (152)" فقد تضمنت طلب الذكر والشكر ، وإن لم يكونا مما نزل لسبب قول السفهاء ، فهما مما يكتمل بهما نص الموضوع ويرتبطان به مما يؤكد عظمة ترتيب الآيات في منهج منطقي سليم .

ويتعلق بنص التوجه إلى القبلة الكلام على العبادات عامة وعلى الصلاة والصبر على الطاعة خاصة ، قال تعالى :"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)"، ومن ذلك الجهاد في سبيله :" وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ (154)"،فالجهاد من مصاديق الصبر، قال تعالى في سورة آل عمران: " إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ "(142) وكذلك الابتلاء ، قال تعالى في سورة البقرة :" وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ (157)" .

ومن عظيم القول الذي يؤكد سلامة ترتيب القرآن الكريم ،ومراعاة النصوص أنّ الآية 154 : " وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ... الآية " نزلت في واقعة خاصة ، وهي استشهاد تميم بن الحمام ببدر (كتاب النقول في أسباب النزول - تفسير الجلالين 56، 58) ، وقد جاءت منسجمة مع النص المتضمن موضوع الشهادة والصبر على الطاعة .

وقد ختم النص المتضمن الكلام على أحكام التوجه إلى القبلة وما يتعلق به بالتعقيب على حكم السعي بين الصفا والمروة : " إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ "(158) مما له علاقة بأحكام العبادات والشعائر عامة . وربما كانت علاقة هذه الآية بنص القبلة هي أنّ الطواف بين الصفا والمروة عبادة سابقة كما كانت القبلة الأولى ؛ فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس قال : كانت الشياطين في الجاهلية تطوف الليل أجمع بين الصفا والمروة ، وكانت بينهما أصنام لهم ، فلما جاء الإسلام قال المسلمون : يا رسول الله لا نطوف بين الصفا والمروة ، فإنّه شيء كنا نصنعه في الجاهلية ، فأنزل الله هذه الآية ((كتاب النقول في أسباب النزول - تفسير الجلالين 58- 59) والله أعلم .

النص الثاني – كتمان ما أنزل من البينات :

سأل جماعة منهم معاذ بن جبل نفرا من أحبار اليهود عن بعض ما في التوراة ، فكتموهم إياه ، وأبوا أن يخبروهم ، فأنزل الله فيهم حكمه بلعنهم (كتاب النقول في أسباب النزول - تفسير الجلالين 53- 55) ، قال تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ (159) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ "(160) ، وشمل باللعنة الكفّار لعدم تبينهم الحقّ الذي بيّنه الله تعالى للناس : "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ "(162)

النص الثالث – صفات الله تعالى التي توجب الوحدانية وعدم اتخاذ غيره :

" وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163) ... وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْ النَّارِ" (167)

النص الرابع – أحكام الطعام :

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168) ... اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "(173)

وقد كان حكم الآية 170 فيمن اتبع الآباء في العبادة والأحكام عامة ، ومنها أنّهم كانوا يحرّمون السوائب والبحائر - والسائبة الناقة المهملة التي تسيّب في الجاهلية لنذر ونحوه ، والبحيرة هي الناقة التي تلد خمسة أبطن فيشقون أذنها ، ويمنعون الانتفاع بها – و هذه الآية نزلت في واقعة خاصة في رافع بن حريملة ومالك بن عوف اللذين قالا للرسول العظيم : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا حين دعاهم إلى الإسلام (كتاب النقول في أسباب النزول - تفسير الجلالين 61-)، ولكنّها جاءت منسجمة مع النص وأحكامه . ثم جاءت الآية 171 استطرادا لها لبيان أوصاف من لا يعقلون الذين لا يتبعون ما أنزل الله تعالى وأحكامه " فهم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ". وعبارة (لا يعقلون) من عناصر الربط الذي يحكم جودة السبك فضلا عن بلاغة التعبير .

النص الخامس –حرمة إخفاء الحقيقة :

"إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174) ... لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (176)"

النص السادس- صدق الإيمان :

"لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ... وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ (177)"

النص السابع – أحكام القصاص :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)"

النص الثامن – وجوب الوصية :

"كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ (180) ... إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (182)"

النص التاسع – أحكام الصيام :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)... لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)

النص العاشر – حكم المال :

وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188) "

النص الحادي عشر – حكم دخول البيوت:

تناول النص الآتي حكم دخول البيوت . أما ذكر الأهلة للمواقيت ؛ فلأنّ ماتعوّدت عليه العرب في الجاهلية وأول الإسلام هو دخول البيوت من ظهورها حين يرون الأهلة ،ويحْرِمون بالحج أو العمرة، ظانين أن ذلك قربة إلى الله ، فارتبط الأمران بنص واحد :

"يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189)"

النص الثاني عشر – مقاتلة المعتدين :

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190) ... وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195)"

تعقيب:

ختم موضوع مقاتلة المعتدين بالآية 195، وهي طلب الإنفاق والإحسان في الجهاد خاصة ؛ لأنّه يدعم المقاتلين المسلمين . وقد جعل الإمساك عن النفقة في الجهاد ، أو تركه سببا لإلقاء النفس في التهلكة (تفسير الجلالين 30) ، وما أروع استخدام لفظ (أيديكم) في الجملة لعلاقتها بالأفعال عامة وبالإنفاق خاصة

النص الثالث عشر – أحكام الحج :

"وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196) ... إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (203) "

النص الرابع عشر – اقتران القول بالعمل :

تناول النص الآتي صنفين مختلفين من الناس في موضوع السلوك واقتران القول بالعمل :

"وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) ... وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (207)"

النص الخامس عشر- طلب الدخول في الإسلام والعمل بعباداته وأحكامه :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (208) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (209)"

والسلم ههنا بمعنى الإسلام بدلالة طلب الدخول - وهو بمعنى الصلح وعدم الحرب يفترن بالألفاظ :(اجنحوا) أو (ادعوا) أو (ألقَوا) ، ،وما اشتق منها - وقد نزلت الآية 208 في عبد الله بن سلام وجماعة من اليهود الذين طلبوا من الرسول

العظيم تعظيم يوم السبت والعمل بالتوراة ، فنهاهم عن ذلك ، وطلب منهم الدخول في الإسلام والعمل بعباداته وأحكامه (كتاب النقول في أسباب النزول - كتاب النقول في أسباب النزول - تفسير الجلالين 89-) ، ولكنها جاءت منسجمة مع نصوص الأحكام والعبادات في سورة البقرة.

ويتعلق بنص طلب الدخول في الإسلام تساؤله تعالى عن تأخر الكافرين وانتظارهم في الإيمان به ، فقال :

"هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنْ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (210) ... فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (211)"

النص السادس عشر- منع السخرية بالفقراء:

"زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (212)"

نزلت في أهل مكة الذين كانوا يسخرون من عمار وبلال وصهيب لفقرهم (كتاب النقول في أسباب النزول - تفسير الجلالين - 33) .

النص السابع عشر – اختلاف الناس في الإيمان وحقيقته :

وضّح النص الآتي اختلاف الناس في الدين والإيمان به ، وقد جاءت الآية الثانية 214 لتأكيد ابتلاء صدق إيمانهم بالبأساء والضرّاء . وهذه الآية نزلت في يوم الأحزاب إذ أصاب النبي العظيم يومئذ بلاء وحصر ، ولكنّها ناسبت الكلام على الإيمان ، وكأنهّا تؤكد أهمية الأعمال في الدين والاعتقاد به على الرغم مما ينال المؤمنين به من البلاء ، فليس الدين أقوالا وآراء يختلفون فيها :

"كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213) ... إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)"

وناسب النص السابق قوله تعالى في الآية اللاحقة : " يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (215)" ذاكرا دعوة الناس المؤمنين إلى الإنفاق في وجوهه المذكورة . نزلت هذه الآية إجابة لسؤال المؤمنين الرسول العظيم عن وجوه الإنفاق (كتاب النقول في أسباب النزول - تفسير الجلالين 90 -) .

وناسب النص أيضا قوله تعالى في الآيتين 216 ، 217 وهما :

"كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (216)"

وقد استطردت الآية 217 في بيان أحكام القتال ، فقال تعالى : " يَسْأَلُونَكَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217) إِنَّ

الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (218)

وجاء الكلام على موضوع الهجرة والجهاد ضمن الأفعال التي تؤكد صدق الإيمان وحقيقته ، قال تعالى :" الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (218)".

ويبدو للباحث أنّ من عناصر تماسك النص تأكيده على الأفعال تعقيبا على اختلاف الناس في الأقوال والآراء ، نصّ على ذلك في قوله " وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ " ، وجعل منه احتمال البأساء والضراء ، والإنفاق ، وكذلك القتال محكوما بشروطه " وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ " ، ثم الهجرة والجهاد في سبيل الله .

فغاية النص وما ناسبه من الآيات وما يتعلق بها هي بيان أن حقيقة الإيمان تتجلى في الجانب السلوكي للمؤمنين بأفعال الخير لا الأقوال التي تؤدي إلى الاختلاف ،ومن أفعال الخير الصبر على البلاء ، والإنفاق ، والقتال مبيّنا أحكامه ، والهجرة ، والجهاد .

النص الثامن عشر- أسئلة عن أحكام مختلفة :

" يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219) فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (220)"

النص التاسع عشر - فقه النساء :

تضمن النص الآتي مجموعة من الأحكام التي تتعلق بالمرأة في أمور كثيرة ، ومن الممكن تصنيفعها في نصوص متعددة ، ولكنها جميعا تتعلق بفقه النساء ، فرأينا جمعها ، وقد تضمنتها الآيات 221 - 237:

"وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221) "

"وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222)... وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (225) " ، وهما مناسبتان للكلام على الذين يؤلون من نسائهم في الآية اللاحقة، أي : يحلفون ألا يجامعوهن ، فقد نبّه على عدم الإكثار من الحلف تجنبا للوقوع في المحذور من الأحكام .

تعقيب :

إنّ وقوع هاتين الآيتين 224 ، 225 المتعلقتين بالحلف والأيمان في موضع نص يتحدث عن أحكام النساء ليدلّ على عظمة ترتيب آيات القرآن الكريم ترتيبا منهجيا في نصوص متكاملة وفق منهج منطقي سليم ، علما أنّهما نزلتا في واقعة

خاصة في أبي بكر في مسطح (كتاب النقول في أسباب النزول - تفسير الجلالين 97- 98) .

ثم استأنف الكلام على أحكام النساء في موضوعات متعددة :

"لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (226) ... إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (237)"

النص العشرون - المحافظة على الصلاة وبعض أحكامها:

" حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (239) "

النص الحادي والعشرون- حكم الإرث والحقوق المالية للنساء :

" وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (240) ... لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (242)"

النص الثاني والعشرون – الهجرة والقتال في سبيل الله تعالى :

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (243) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244)"

النص الثالث والعشرون – مضاعفة الثواب :

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)

النص الرابع والعشرون – قصة بني إسرائيل بعد موت موسى (ع) :

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) ... وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (253)"

النص الخامس والعشرون – طلب الإنفاق :

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ (254)"

النص السادس والعشرون – آيات الكرسي :

"اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255) ... هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257)"

النص السابع والعشرون - الحجج والبينات على قدرة الله ووجوب الإيمان به :

تتناول الآيات الآتية تبيانا للحجج والدلالات على عظم الخالق ووجوب الإيمان به ، ويمكن تصنيفها في عدة نصوص ، ولكنّا وحّدناها بنص واحد لوحدة موضوعها وغاياتها ، وهي :

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258) .... وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)" .

النص الثامن والعشرون – الحث على الإنفاق وأحكامه :

مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261) ... فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) "

النص التاسع والعشرون - حرمة الربا:

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) ... وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (281) .

تعقيب :

ناسب موضوع الربا الذي تضمنه النص السابق الكلام على ذوي العسرة والحث على مراعاتهم بإمهالهم عن الدفع ، وإن التصدق عليهم بالإبراء مما في ذمتهم خير ، وقد روي عن الرسول العظيم : " من أنظر معسرا ، أو وضع عنه أظلّه الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه " رواه مسلم (تفسير الجلالين 47) .

النص الثلاثون- الديون وتوثيقها :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ... بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282) ... وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (283)

تعقيب :

وثمة تعقيب يتناسب وذكر الأحكام والعبادات وهو علم الله تعالى بما نبديه أو نخفيه ، وموضوع الإيمان بالله تعالى ورسله ، ثم دعاء بعدم المؤاخذة إن نسينا أو أخطأنا وما يتعلق بذلك من طلب الغفران والرحمة والنصر على الكافرين الذين لا يؤمنون بالإسلام و أحكامه وعباداته ، قال تعالى :

"لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (284) آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا

وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَىالقوم الكافرين (286) " .

المصادر

1- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، دار السلام ، الطبعة الرابعة 1414هـ - 1993 م.

2- بيان إعجاز القرآن ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام . القاهرة ، 1968م.

3- تفسير الجلالين - مذيلا بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ، دار ابن كثير ، ط9 ، 1998م .

4- الخطابة (الترجمة العربية القديمة) ، أرسطو طاليس ،تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي . القاهرة ، 1959 م .

5- الخلاصة النحوية ، الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، 2000 م .

6- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد رشيد رضا . القاهرة ، 1960 م .

7- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، دكتور صبحي إبراهيم فقي . دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 2000 م .

8- كتاب سيبويه تصنيف منهجي وتحقيق علمي ، الدكتور محمد كاظم البكاء . دار البشير/ الأردن ، ودار الرسالة / بيروت ، 2000 م .

9- مدخل إلى علم اللغة النصي ، تأليف فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ترجمة الدكتور فالح بن شبيب العجمي ، سلسلة اللغويات الجرمانية ، الكتاب رقم 115 . المملكة العربية السعودية ، جامعة الملك سعود ، النشر العلمي والمطابع ، 1999 م .

10- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،سنة النشر 1996 .

11- نحو النص نقد النظرية ... وبناء أخرى ، الدكتور عمر محمد أبو خرمة ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، إربد ، 2004 م .

12- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة 885 هـ ، خرّج آياته وأحاديثه

ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي . بيروت ، دار الكتب العلمية 1995 م .

***Implementation of thee Contextual Languages tic Program in the study of Quran (*Surat -Al-Bagare as an illustration)**

Prof. M.K.AL-Bakka
University of Kufa

There has been a lot of efforts in this field with view to analysis the text and understanding of the relation between its various parts. I believe through my own experience that the implementation of such program is both effective and efficient in the proper study of our wholly Quran. I am confident that the use of such program allows our student to have a more clear and deeper understanding of the Quranic texts. It helps the reader to comprehend the over all meaning of the text rather than understanding the text as confused subdivided parts. The use of this program, in my experience, disclose a new and serious discovery In the Quranic power of Al-Ejaze.I The call it Al-Ejaze.I in the organization of the texts. way the Quran has been organized by our prophets Mohammad is divine and happened over a period of 23 years. Irrespective to the time, The Quranic texts (Ayahs) came for various reasons. This is something interesting! How these texts which came for various reasons, are brought together in such a unique and well organized style? This has made me to analyze Surat -Al-Bagare as an illustration to what I have mentioned above.